المحاضرة الثامنة :مدخل إلى الفنون النثرية

1)تمهيد :

شهد الأدب العربي في العصر الحديث تحوّلًا عميقًا فرضته جملة من العوامل الثقافية والاجتماعية والسياسية؛ فقد أدى الاحتكاك بالثقافات الأوروبية، واتساع حركة الترجمة، وظهور الصحافة، ونشوء المدارس الحديثة، إلى فتح آفاق جديدة أمام الكتّاب، ودفعهم إلى تطوير أساليب تعبيرهم وتجديد الأشكال الفنية التي عرفها الأدب العربي عبر قرونه الطويلة. وبالتزامن مع هذه التحولات، برزت حاجة ملحّة إلى فنون نثرية أكثر قدرة على التعبير عن قضايا الإنسان المعاصر، وعن هموم المجتمع وتحولاته السريعة.

لم يعد النثر مقتصرًا على الخطابة والرسائل والمقامات كما كان في العصور السابقة، بل ظهر له في العصر الحديث **بناء فني جديد** يتسم بالتحليل والواقعية وعمق الرؤية، فأخذ يساير متطلبات الحياة الحديثة ويستجيب لاهتمام القرّاء المتزايد بالمعرفة والفكر والحوار. وهكذا نشأت فنون نثرية جديدة مثل **المقالة الحديثة والقصة القصيرة والرواية والمسرحية النثرية**، وازدهرت فنون أخرى مثل **أدب السيرة الذاتية وأدب الرحلات**، فأصبحت هذه الفنون مجتمعة مرآة صادقة تعكس تطور الوعي العربي وتحولاته.

وتمثل دراسة الفنون النثرية الحديثة مدخلًا مهمًا لفهم البنية الثقافية والفكرية للمجتمع العربي الحديث، إذ إنها تكشف عن صورة الإنسان العربي في مواجهته للتغيرات الكبرى: من النهضة والإصلاح، إلى الاستعمار والتحرر، مرورًا بقضايا الهوية والحداثة. ومن خلال هذه الفنون نستطيع تتبّع تطور اللغة، ورؤية أثر المثقف العربي ودوره في تشكيل الوعي العام.

2)الفنون النثرية عند العرب قبل العصر الحديث:

عرف العرب قبل العصر الحديث فنونًا نثرية متعددة شكّلت أساس التعبير الأدبي والفكري لديهم؛ فقد كانت **الخطابة** من أبرز هذه الفنون لاعتمادها على التأثير المباشر في الجمهور من خلال الأسلوب البلاغي والحجة القوية، كما ازدهرت **الرسائل** بأنواعها الديوانية والإخوانية والأدبية، وامتازت بدقة التعبير ورشاقة البيان. إلى جانب ذلك، احتلّت **الحكم والأمثال** مكانة راسخة لما عُرف عنها من إيجاز وخلاصة للتجارب الإنسانية، بينما ظهرت **المقامات** كفن نثري مسجوع يعتمد على القصص القصيرة التي تُظهر براعة الكاتب اللغوية.

كما عُني العرب بكتابة **السِّيَر والتراجم** التي سجلوا فيها حياة العلماء والقادة والأدباء بأسلوب يجمع بين السرد التاريخي والتحليل، وبرز كذلك **أدب الرحلات** الذي وثّق أسفارهم وانطباعاتهم عن الشعوب والبلدان بأسلوب وصفي شائق. ولم يخلُ التراث القديم من **الكتابات الدينية** كالخطب والمواعظ والتفسير، التي قامت على البيان القوي والإقناع العقلي والوجداني. وقد شكّلت هذه الفنون مجتمعة بنية النثر العربي القديم ومهدت لتطوره في العصور اللاحقة.

3)أهم عوامل تطور النثر الحديث :

شهد النثر العربي في العصر الحديث تحولًا عميقًا نتج عن مجموعة من العوامل التاريخية والثقافية والاجتماعية التي أسهمت في تجديد أشكاله وأساليبه وظهور فنون جديدة. ومن أبرز هذه العوامل ما يأتي:

أ)**الاتّصال بالغرب و حركة الترجمة:** كان احتكاك العرب بالثقافة الغربية من أهم الأسباب التي دفعت نحو تحديث النثر، فقد تعرّف الكتّاب على فنون جديدة مثل القصة القصيرة والرواية والمسرحية والمقالة الحديثة. وازدهرت حركة الترجمة منذ القرن التاسع عشر، فانتقلت إلى العربية نماذج أدبية وفكرية أوروبية أثّرت بوضوح في أساليب الكتاب العرب وموضوعاتهم.

ب)**انتشار الطباعة والصحافة:** أدّى تأسيس المطابع وظهور الصحف والمجلات إلى خلق بيئة جديدة للكتابة، فاحتاجت الصحافة إلى نصوص قصيرة وسريعة التأثير، مما ساهم في

نشوء المقالة الحديثة وازدهار العمود الصحفي والتحقيقات الأدبية والاجتماعية. كما أتاحت الصحافة مساحة واسعة لانتشار الأعمال الأدبية وتداولها.

ج)**النهضة التعليمية وظهور المدارس الحديثة:** أسهمت المدارس والمعاهد والجامعات في تكوين جيل جديد من الكتّاب المتعلمين القادرين على التعامل مع المناهج الحديثة والتفكير النقدي. كما ساعدت على انتشار القراءة وخلق جمهور واسع للنصوص الأدبية.

د)**التغيّرات الاجتماعية والسياسية:** شهد العالم العربي في العصر الحديث تحولات كبرى مثل الاستعمار والحركات الوطنية، وتغير البنية الاجتماعية، وانتشار الأفكار الإصلاحية. ولدت هذه التحولات موضوعات جديدة للنثر تتعلق بالهوية والحرية والعدالة والواقع الاجتماعي، فظهرت روايات وقصص ومقالات تعالج قضايا المجتمع والفكر والسياسة.

هـ)**تطوّر الفكر العربي الحديث:** ارتبط تحديث النثر بتطور الحركة الفكرية، خاصة مع بروز رواد النهضة من مفكرين ومصلحين مثل الطهطاوي ومحمد عبده والأفغاني. وقد شجعت هذه الحركة على تحرير العقل وإحياء اللغة، مما انعكس على أساليب الكتابة وإغنائها بالتحليل والتفسير.

4)أنواع النثر الحديث :

مع دخول العصر الحديث، شهد النثر العربي تحوّلًا جذريًا جعله وسيلة أكثر مرونة وثراء للتعبير عن الفكر والمشاعر والتجارب الإنسانية. وقد تجلّى هذا التطور في بروز نوعين رئيسين :**النثر العلمي** الذي يركّز على وضوح الفكرة وقوة الرأي، و**النثر الفني** الذي يسعى إلى إبراز جمال اللغة وإحداث أثر وجداني في القارئ.

أولا :النثر الفني :

يمثّل النثر الفني أحد أهم أشكال التعبير الأدبي في العصر الحديث، وهو نثر يقوم أساسًا على **جمالية الأسلوب ورهافة التعبير وقدرته على التأثير الوجداني** في القارئ. لا

يكتفي هذا النوع بتقديم الفكرة، بل يصوغها في قالب لغوي مصوَّر، يزخر بالتشبيهات والاستعارات والظلال الدلالية التي تمنح النص عمقًا فنيًا وإيحاءً جماليًا. ويغلب عليه الطابع الإبداعي الذي يزاوج بين الفكر والخيال، ويستثمر طاقات اللغة في بناء صور موحية تكشف عن التجربة الإنسانية. وتندرج ضمن مجالات النثر الفني فنون عديدة، أبرزها **القصة القصيرة والرواية والمسرحية النثرية**، إلى جانب **السيرة الذاتية المكتوبة بأسلوب أدبي** و**أدب الرحلات الفني** وسائر النصوص التي تقوم على الوصف والتخييل والتصوير الشعوري. وهكذا يتخذ النثر الفني من الجمال وسيلة للتعبير، ومن اللغة مجالًا للإبداع، مما يمنحه مكانة بارزة في الأدب الحديث.

ثانيا :النثر العلمي :

النثر العلمي هو أسلوب كتابة يُستخدم لنقل المعلومات والحقائق العلمية بطريقة **موضوعية ودقيقة و واضحة**، بعيدًا عن الانفعالات أو التعبيرات الأدبية. يتميز هذا النثر بالتركيز على **الحقائق والأدلة والبراهين العلمية**، ويعتمد على **الترتيب المنطقي للأفكار** بحيث تُعرض المعلومات من البسيط إلى المعقد أو من العام إلى الخاص، مع استخدام **مصطلحات دقيقة وشاملة** مع شرحها إذا لزم الأمر. كما يتميز بالاقتصاد في الكلام، أي التعبير عن الأفكار بأقصر شكل ممكن دون التضحية بالمعنى، ليصبح الشرح مفهوماً وسهل المتابعة.

يُستخدم النثر العلمي في **الكتب المدرسية، والمقالات والأبحاث العلمية، والتقارير والدراسات،**

و الشروحات العلمية، وهو يختلف عن النثر الفني الذي يركز على **الجمال اللغوي والتصوير الفني و المشاعر**، بينما الغرض الأساسي للنثر العلمي هو **نقل المعرفة وتوضيح المعلومات للمتلقي بدقة.**

5)نصوص و تطبيقات :

يقول رفاعة الطهطاوي (1801_1873) في كتابه "تلخيص الإبريز في خصال باريز" :

"أعلم أن الباريزيين يختصون من بين كثير من النصارى بذكاء العقل، ودقة الفهم وغوص ذهنهم فى الغويصات، وليسوا مثل النصارى القبطة، فى أنهم يميلون بالطبيعة الى الجهل والغفلة، وليسوا أسراء التقليد أصلاً، بل يحبون دائماً معرفة أصل الشىء والإستدلال عليه، حتى إن عامتهم أيضاً يعرفون القراءة والكتابة، ويدخلون مع غيرهم فى الأمور العميقة، كل إنسان على قدر حاله...

ومن طباعهم المهارة والخفة، فإن صاحب المقام قد نجده يجرى فى السكة كالصغير، ومن طباعهم أيضاً الطيش والتلون، فينتقل الإنسان منهم عن الفرح إلى الحزن وبالعكس، ومن الجد إلى الهزل وبالعكس، حتى إن الإنسان قد يرتكب فى يوم واحد جملة أمور متضادة، وهذا كله فى الأمور الغير المهمة، وأما فى الأمور المهمة، فآراؤهم فى السياسات لا تتغير، كل واحد يدوم على مذهبه ورأيه، ويؤديه مدة عمره، ومع كثرة ميلهم إلى أوطانهم يحبون الأسفار، فقد يمكثون السنين العديدة والمدة المديدة، طوافين بين المشرق والمغرب، حتى إنهم قد يلقون أنفسهم فى المهالك، لمصلحة تعود على أوطانهم يحبون السفر ..."

الأسئلة :

-إلى أي نوع أدبي ينتمي هذا النص ؟

-ما الصفات الي ينسبها رفاعة الطهطاوي للبارزيين ؟

- ما الطابع الغالب على أسلوب الطهطاوي في هذا النص؟ علل إجابتك.

-ما نوع اللغة التي استخدمها الكاتب: هل هي **لغة تقريرية مباشرة** أم **لغة محمّلة بالصور البلاغية؟** مع ذكر مثال.